

1-7 (54) الشرق الأوسط يلقى الشرق الأقصى

تم طرد اللاجئين الفلسطينيين الذين شاركوا فى الحرب ضد إسرائيل من الأراضي الفلسطينية على الضفة الغربية لنهر الأردن فانتقلوا إلى شرق الحدود حيث توجد المملكة الأردنية الهاشمية. إلا أن الحياة لم تكن سهلة فى الأردن. وفى أواخر الستينات انتقلوا مرة أخرى من الأردن إلى دول الخليج. أي شرقاً من الأردن. ولكنهم لم يتمكنوا من الاستقرار فى دول الخليج كموطن أخير. حيث لم تمنحهم البلدان المضيفة إقامات دائمة، كما أنهم لم يحبوا الناس البدو فى البلدان المنتجة للنفط لأنهم كانوا متعمرين وعديمي الكفاءة. وقد نظر أهل الخليج نظرة دونية إلى الفلسطينيين الفقراء. لقد أمل الفلسطينيون بالعودة إلى وطنهم عندما يتم تحقيق سياسة التعايش بين الدولتين. وكان معظمهم يتوقعون قيام إسرائيل وفلسطين بتوقيع معاهدة سلام بجهود وساطة الدول العربية الأخرى.

لكن حلم استقلال فلسطين تلاشى بعد وقوع عدة حروب فى الشرق الأوسط. كما زاد الطين بلة غزو العراق للكويت عام 1990. انتقد العالم عنف الرئيس العراقي صدام حسين. وخشيت المملكة العربية السعودية وغيرها من دول الخليج الملكية أن تكون هي الهدف التالي بعد الكويت. إلا أن الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية (PLO) كان لديهما حلم مختلف. وقد دعم الطرفان بحماسة نظام صدام حسين الذي ادعى القدرة على الإطاحة بإسرائيل. ونتيجة لذلك، بعد هزيمة العراق فى حرب الخليج فى العام التالي، أمرت كل من الحكومة السعودية والكويتية العمال المهاجرين الفلسطينيين والأردنيين بالعودة إلى بلادهم على الفور.

تم فصل العمال العرب الثلاثة خطيب وزهرة وشاتيل من عملهم فى شركة نفط يابانية كانت تقوم بإنتاج النفط قبالة سواحل الكويت والسعودية. دعا خطيب الأردني زهرة الفلسطيني إلى العودة سوية إلى العاصمة الأردنية عمان. كان خطيب يخطط لشراء أرض فى عمان وزهرة يخطط لفتح ورشة تصليح سيارات بالأموال التي ادخرها كل منهما أثناء عمله فى الخارج إضافة إلى بدلات التقاعد. وأما شاتيل الفلسطيني فقد قرر الهجرة إلى الولايات المتحدة حيث كان أخوه الأصغر يحمل تأشيرة إقامة. لقد كان هناك فلسطينيان على وشك مغادرة الخليج. وقد انتقلا هذه المرة من الشرق باتجاه الغرب.

وفى إحدى الليالي قام اليابانيون بإقامة حفل وداع لزملائهم العرب الثلاثة. تم تقديم الأطعمة والمشروبات للضيوف. وتناول زملاؤهم اليابانيون المشروبات الكحولية. لقد كانت المشروبات الكحولية محظورة فى السعودية، إلا أن الموظفين اليابانيين كانوا يسكنون فى مسكن تابع للشركة حيث كانت السلطات تغض النظر عن عادات الشرب اليابانية. واستغرق جميع الحاضرين فى الذكريات. قضى شاتيل 30 سنة فى تلك الشركة اليابانية. وعمل زهرة فيها 23 سنة، وخطيب 21 سنة. لقد قضوا سنين شبابهم فيها. لم تكن من عادة العمال المهاجرين العمل لفترة طويلة فى شركة واحدة. وفى حالة الشركات الكويتية والسعودية، كان يتم فصلهم من عملهم على هوى نزوات أصحاب العمل، أو كانوا يغيرون عملهم بشكل تلقائي بسبب طغيان أصحاب العمل الذي لا يطاق. إلا أن هؤلاء الثلاثة تمكنوا من العمل فى الشركة اليابانية بسلام. فقد كانت بيئة العمل مريحة. لقد كان عقد الامتياز بين الحكومة والشركة مستمراً حتى عام 2000. وقد أرادوا متابعة العمل فى الشركة حتى ذلك الحين إن أمكن. إلا أن الفلسطينيين الذين كانوا واقعين تحت رحمة التاريخ اضطروا إلى قبول مصائرهم.

لقد شعروا بالتقدير العميق لتمكنهم من العمل فى جو صادق وكريم فى الشركة اليابانية. حققت اليابان معجزة بإعادة الإعمار بعد خسارتها فى الحرب العالمية الثانية. وكانت الحياة اليومية فى الشرق الأوسط تفيض بالمنتجات اليابانية كالسيارات والتلفزيونات ومسجلات الكاسيت والبرادات. إضافة إلى أن أولئك الثلاثة كانوا سعداء جداً لأن الموظفين اليابانيين عاملوهم بمساواة وبدون تمييز عنصري. لقد كان عملهم فى الشركة اليابانية تجربة مميزة لم يسبق لها مثيل فى حياتهم.

وحين كان الجميع مستمتعين بالدردشة، سمعوا فجأة صوتاً جميلاً لإحدى المغنيات قادماً من مسجل الكاسيت الموجود وراءهم. وبدأت كأنها أغنية صينية. سأل شاتيلاً أحد زملائه اليابانيين عن اسم الأغنية. فأجابه الزميل الياباني بأن المغنية هي مغنية تايوانية شهيرة وأن اسم الأغنية هو "He ri jun zai lai (何日君再来 متى ستعود مرة أخرى؟)". وهي تصف في الأغنية حزنها لفراق من تحبه وأمنيته بأن يجتمعا من جديد يوماً ما.

好花不常开،
(الزهور الجميلة لا تتفتح كثيراً)
好景不常在。
(والمشاهد الجميلة لا تبقى دائماً)
愁堆解笑眉،
(القلق يذيب ابتساماتي)
淚灑相思帶。
(ذكريات الحب تعيد الدموع إلى عيني)
今宵離別後،
(بعد أن تغادر الليلة)
何日君再来؟
(متى ستعود مرة أخرى؟)

بالنسبة للفلسطينيين كانت كلمة "أنت" في الأغنية تعني "آلهة السلام". فقد كان "السلام" يفوتهم بسرعة دائماً. وقد أثارت الكلمات والألحان الحزينة الحلوة مشاعر الحنين في قلوبهم. في تلك الليلة، اندمجت قلوب مواطني الشرق الأوسط والشرق الأقصى العاديين سوية. كانت لحظة التقى فيها الشرق الأوسط بالشرق الأقصى.

كانت رحلة شاتيلاً الأولى باتجاه الشرق من طولكرم على الضفة الغربية لنهر الأردن. وكانت رحلته الثانية باتجاه الشرق من الأردن إلى دول الخليج. والآن توجه غرباً وهاجر إلى الولايات المتحدة متجاوزاً فلسطين. لم يكن من السهل على المسلمين العيش في الولايات المتحدة التي تهيم عليها المسيحية، إلا أن الولايات المتحدة كانت لا تزال أفضل مكان يمكن للجميع العيش فيه بسلام وأمان. وقد تم تبادل الكثير من الرسائل والمكالمات بين الولايات المتحدة والأردن. ولم يكن شاتيلاً متأكداً مما إذا كان سيتمكن من لقاء أقاربه وأصدقائه القدامى في الأردن مرة أخرى.



وفي أحد الأيام تلقى شاتيلاً رسالة من والده يخبره فيها عن أحوال رانيا إحدى بنات عائلة الياسين الذين كانوا جيرانهم لفترة طويلة. لقد تخرجت رانيا من جامعتها في القاهرة وعادت إلى الأردن. ثم أصبحت صحافية والتقت بأmir العائلة المالكة الهاشمية. فوقع الاثنان في الحب وتزوجا.

وأصبحت رانيا مثل سندريلا. وبذلك اندمجت دماء الفلسطينيين بدماء العائلة الهاشمية النبيلة التي تتحدر من سلالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. لقد كان ذلك فجر عصر جديد.

(يتبع ----)

بقلم كازويا أريها

البريد الإلكتروني: ArehaKazuya1@gmail.com

[الصفحة الرئيسية](#)

[\(الفهرس\)](#)